

**الحروب اللاتماثلية:
إستراتيجيات وتكتيكات القتال المستحدثة في القرن الحادي والعشرين
Asymmetric Wars: Combat Strategies and Tactics
developed in the twenty-first century**

ط. د. فايزة زعتر*، جامعة الجزائر 3
zater.faiza@univ-alger3.dz

تاريخ القبول: 2021/09/23

تاريخ الاستلام: 2021/07/29

ملخص:

يهدف المقال إلى دراسة ظاهرة اللاتماثل في الحروب الجديدة وفهمها ومعرفة العوامل التي ساهمت في تغيير طرق إدارة حروب القرن الواحد والعشرون، فالسلوك اللاتماثلي في الحرب ليس جديدا بل لازم الحروب منذ الأزل، لكن حدثت تغيرات وتطورات في الاستراتيجيات والتكتيكات القتالية في الحروب الجديدة كنتيجة للتحويلات الدولية لما بعد الحرب الباردة، وأهم هذه التحويلات هي الثورة المعلوماتية والتطور في وسائل وتقنيات الاتصال حيث منحت مزايا للأطراف الضعيفة في الحرب مكنتها من مجابهة القوى الدولية التي باتت مجبرة على التخلي عن العقلية التقليدية لإدارة وحسم الحروب نظرا لطبيعة العدو الجديد الذي لا يتبع قواعد القتال التقليدية، ومنه نتساءل عن تأثير الإستراتيجيات والتكتيكات اللاتماثلية في إدارة الحروب الحديثة وإحداث آثار غير متناسبة تهدد الأطراف النظامية القوية نسبيا، لتخلص دراستنا إلى ضرورة استحداث سياسات دفاعية مركبة وطويلة الأمد تتماشى وطبيعة التحديات التي تفرضها هذه الحروب على الدول والقوى النظامية نظرا لأن القوة العسكرية وحدها لا تكفي لمواجهة هذه التهديدات اللاتماثلية.

الكلمات المفتاحية: الحروب اللاتماثلية - الحروب الجديدة - الإستراتيجيات اللاتماثلية - الإرهاب - حرب العصابات

* المؤلف المراسل

Abstract:

This article aims to study the new wars' asymmetry phenomenon, understand it and identify factors that contributed in changing the managing wars' ways in the twenty-first century because wars' asymmetric behavior isn't new but it accompanied wars since time immemorial. However, combat strategies and tactics' changes and developments occurred in the new wars issued from international transformations resulting from the cold war.

The most important of these transformations is the information revolution and communication means and techniques development, that gave advantages to weak parties in warfare and enabled them confront the international forces, which were obliged to abandon the war's management and resolution traditional mentality for the character of the new enemy that doesn't adopt combat traditional rules. Therefore, asymmetric strategies and tactics' impact on the management of modern warfare and the creation of disproportionate effects threatening relatively powerful systemic actors are questioned. Our study came to the need of developing complex and long-term defense policies consistent with the nature of challenges these wars pose to states and regular forces, as military power alone is insufficient to deal with asymmetric threats.

Keywords: Asymmetric wars, New Wars, Asymmetric Strategies, Terrorism, Guerrilla warfare.

مقدمة:

لقد ساد الاعتقاد بعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفيتي بتفرد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عسكرية دولية تمتلك من القدرات العسكرية والتكنولوجية ما يمكنها من الحسم السريع وكسب أية حرب تدخل فيها - هذا بالمعنى التقليدي للحرب - أي الحروب المتكافئة من حيث الفواعل (دولة مقابل دولة أو مجموعة دول)، والمتمثلة من حيث القدرات العسكرية والإستراتيجيات والتكتيكات المستخدمة فيها.

لكن التحولات الطارئة على النظام الدولي الجديد منذ نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرون، والمتمثلة في صعود الفواعل غير النظامية وزيادة الإهتمام بقضايا الهوية والثقافة مع تزايد النزاعات والحروب داخل الدول من جهة، ومن جهة أخرى الإنتشار الواسع للتكنولوجيا العالية في مجال المعلومات والاتصال وسهولة إنتقال رؤوس الأموال والأشخاص التي مكّنت من تحول عنصر القوة لصالح فواعل وأطراف غير نظامية أصبحت أنشطتها وعملياتها الإجرامية عابرة للحدود الوطنية للدولة القومية، كل هذا أكد على أن الحروب الحديثة لم تعد قائمة على مبادئ النظام الواسطفالي القائم على إحتكار الدول القومية للعنف بل إن البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة منحت الفواعل والجماعات غير النظامية أساليب جديدة لإدارة الحروب بحيث وفرت لها مزايا لقتال الدول القوية من حيث البنية العسكرية والمكانة الإستراتيجية الدولية.

هذا ما يجعلنا نطرح الإشكالية التالية:

كيف تؤثر الإستراتيجيات والتكتيكات اللاتماثلية في الحروب الجديدة على سياسات دفاع الدول والأطراف النظامية؟

ولعالجة الإشكال المطروح، نقسم دراستنا إلى المحاور التالية:

- 1) تحولات البيئة الأمنية الدولية بعد الحرب الباردة.
- 2) مصطلح الحروب اللاتماثلية: المفهوم والتطور.
- 3) الاستراتيجيات والتكتيكات اللاتماثلية في الحروب الجديدة.
- 4) إستجابة الأطراف النظامية لتحديات الحروب اللاتماثلية .

أولاً: تحولات البيئة الأمنية الدولية بعد الحرب الباردة: يمكن تلخيص أهم التحولات في البيئة الأمنية الدولية بعد الحرب الباردة في النقاط التالية:

1- صعود الحروب الداخلية

نجم عن نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفييتي تغيرات في طبيعة الحرب والتي كانت في معظمها حروبا بين الدول ذات أبعاد جيوسياسية، إقتصادية، أيديولوجية، فلم يعد هدف الحرب إلحاق الهزيمة بعدو محدد وواضح تمهيدا للوصول إلى حل سياسي بل أصبح الهم الأول لأطراف الحرب هو السيطرة على الدولة ذاتها، ومنه انفجرت حروبا داخلية في مناطق عدة من العالم ذات طابع جديد بحيث باتت معظم الحروب في العصر الحديث تشن بإسم الهوية ودفاعا عنها (عثمان، 2015، ص ص 13 - 17).

وأطلق على هذه الحروب والنزاعات في أواخر التسعينيات من القرن الماضي مصطلح (الحروب الجديدة New Wars) إستجابة للحرب بين الأعراق التي انفجرت في يوغسلافيا سابقا عقب الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفييتي، والتي جعلت عددا من المنظرين العسكريين أمثال فان كريفلد Van Creveld يعلن عن إنتهاء الحديث عن الحرب التقليدية واستبدالها بالحروب الأهلية والنزاعات منخفضة الشدة Low-Intensity Conflicts .

وارتبطت عوامل وأسباب هذه الحروب الجديدة بمفاهيم الهوية والعرق والإثنيات ففي حين أن الأدبيات المتعلقة بالحروب التقليدية (الثورات وحروب التمرد في الستينيات وإلى غاية السبعينيات من القرن العشرين) كانت تميل في تفسيرها لأسباب الحروب إلى التأكيد على الدوافع القومية والعداء للإستعمار والحركات الثورية والتحريرية، أبرز النقاش في التسعينيات جانبين مختلفين في تفسير الحروب الجديدة وهما:

- عودة الهويات العرقية والقبلية، كيوغسلافيا ورواندا..
- دور الأطماع الدولية (الجانب الإقتصادي) والدوافع الريحية في مناطق أخرى كأنغولا وسيراليون (Winter, 2011, pp 488-514).

فمنذ عام 1989 بات عدد الصراعات المسلحة داخل الدول أكثر من تلك الحروب بين الدول، وتتلخص أهم أسباب تلك الحروب حول الحكم أو

السيطرة على إقليم ما والتي تفجرها قضايا التمييز واللاعدل في تقسيم الثروات والحكم بين المكونات الإثنية للإقليم الواحد (كيفلي، بلانتون، 2017، ص 285).

2- التحولات الجيوسياسية:

هيمنت الولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة في الشؤون العسكرية على المستوى العالمي، وذلك بفضل قدراتها العسكرية النووية والتقليدية الهائلة التي طورتها لمواجهة الإتحاد السوفييتي السابق، وقد إتضح ذلك خلال حرب الخليج الأولى 1991 عندما قامت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بتدمير الجيش العراقي مقابل عدد قليل نسبياً من الضحايا.

ومنه أدى إنفراد الجيش الأمريكي كقوة تقليدية ونووية بحلول نهاية القرن التاسع عشر إلى عمل منافسيه المحتملين على البحث عن تقنيات وأساليب لخوض حرب لا تماثلية ناجعة ضده وهو ما أدى إلى العودة إلى حرب العصابات والتمرد والإرهاب بتكتيكات وتقنيات جديدة الأمر الذي صعب من مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الدولية الكبرى لهذا النوع من الحروب (لونج، 2014، ص ص 27، 28).

الجدول رقم 1: تغيرات البيئية الأمنية في ما يتعلق بالبيئة الجيوبوليتيكية

البيئة الأمنية الحديثة	البيئة الأمنية القديمة
تعددية قطبية (معقدة)	الثنائية القطبية (جامدة)
غير مؤكدة	قابلية للتنبؤ
القومية والتطرف الديني	الشيوعية
الولايات المتحدة القوة العسكرية رقم 1	الولايات المتحدة القوة الغربية رقم 1
التحالفات مؤقتة	التحالفات دائمة
ديناميكية الأمم المتحدة	شلال الأمم المتحدة

المصدر: (Uroš , 2009, p383)

3- زيادة وتعدد الفواعل الدولية وغير الدولية

منذ التوقيع على معاهدة واستماليا عام 1648 والدولة هي الفاعل الأساسي في النظام الدولي والسيدة على أراضيها، والمحتكرة لعناصر القوة والإكراه المادي، لكن هذا الإحتكار بدأ في التلاشي تدريجيا مع نهاية الحرب الباردة وصعود فواعل جديدة داخل الدولة ذاتها كنتيجة لتفكك الإتحاد السوفييتي وما خلفه من صعود وانتشار كبيرين لحركات الانفصال والتحرر مع نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، فبرزت قضايا الهويات والعرقية حيث ثارت جماعات عرقية وإثنية في عدة مناطق من العالم ضد دولها التي لم تعد تحقق لها حاجياتها وأمنها بشتى أبعاده الهوياتي، الإقتصادي، الإجتماعي، السياسي.. وهو ما أدى إلى تراجع سيادة الدولة القومية بحيث تمكنت هذه الجماعات والفواعل الجديدة من إنتهاك سيادة الدولة القومية خاصة مع طبيعتها ونشاطاتها العابرة للحدود.

وقد رافق صعود هذه الفواعل الجديدة تطورا وانتشارا كبيرين على مستوى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التي منحت هذه الفواعل القدرة على تخطي حدود الدولة القومية والتأثير على أمنها بواسطة أساليب ووسائل بسيطة ومبتكرة (Jonasson, 2008, p 6).

4- عولة تكنولوجيات الإتصال والمعلومات:

ساهمت ثورة المعلومات والاتصالات الحديثة في جعل العالم أكثر إنفتاحا وهو ما أدى بدوره إلى جعل المجتمعات أكثر ضعفا بحيث بات من السهل الوصول الى المعلومات المتعلقة بالبنى التحتية الحيوية للدول واستهدافها وهو ما يشكل خطرا كبيرا على أمنها وإستقرارها، فالإعتماد الكبير لدول ما بعد الحداثة على الإنترنت وتقنيات المعلومات والاتصالات في تسيير أنظمتها وقطاعاتها المختلفة داخل حدودها وخارجها سهل على خصومها غير النظاميين الوصول إلى مراكز الثقل لديها وضربها وإستهدافها عن طريق هجوم سبراني بسيط دون الحاجة إلى المواجهة المباشرة وما تتطلبه من إستعدادات وقدرات عسكرية وتنظيمية كبيرة

من جهة أخرى مكّنت شبكة الإنترنت أيضا الأطراف غير النظامية من التخطيط والتنسيق لعملياتها العسكرية عبر إستغلال المواقع الإلكترونية

ووسائل التواصل الإجتماعي المختلفة في كسب الدعم المادي (تمويل عملياتها عبر جمع التبرعات أو عمليات الإحتيال والفساد..)، وكذا المعنوي (بكسب دعم الرأي العام المحلي والعالمي والترويج لقضاياها وإيديولوجياتها (Lindström, 2012, pp 36-37).

ثانياً: مصطلح الحروب اللاتماثلية: المفهوم والتطور

تعتبر الحروب اللاتماثلية قديمة قدم الحروب لكن بدأ الإهتمام بها في الدوائر الحكومية الغربية والأمريكية خاصة بعد الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفييتي.

1- تعريف الحروب اللاتماثلية:

يفتقر مفهوم الحروب اللاتماثلية إلى تعريف موحد كغيره من المفاهيم الأخرى الواسعة كالإرهاب .. ومع ذلك هناك فهم مشترك لهذه الظاهرة، بحيث تعرف بأنها:

"شكل من أشكال الحروب، يستخدم فيها المقاتلون أدوات أو إستراتيجيات متباينة ومناقضة لمعايير التوازن السائدة، وتتميز بانعدام مسرح عمليات محدد فيها أين يلتقي المقاتلون، كما يستخدم كل طرف فيها خططا وأسلحة غير متماثلة وغير متوقعة، وقد لا تكون هناك علاقة بين الفعل ورد الفعل فيها، ولا يكون هناك تقيد بمبادئ الحرب وإنما بأفكار تنتج عن مصادفات يتم تحويلها إلى خطط مدروسة، ويختلط فيها ما هو مادي بما هو نفسي" (العجيلي، الربيعي، 2015، ص 177).

وبما أن مصطلح الحروب اللاتماثلية أمريكي النشأة، فمن المهم عرض بعض التعريفات الأمريكية له والتي يتم الإجماع فيها على أن الحروب اللاتماثلية تسعى عموماً إلى إحداث التأثير النفسي والصدمة والإرتباك الذي يؤثر على مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية وإرادتها في القتال، وكثيراً ما تستخدم هذه الحروب أساليب وأسلحة وتقنيات مبتكرة وغير تقليدية يمكن تطبيقها على جميع مستويات الحرب.

ومنه تعرف الحروب اللاتماثلية بأنها:

"تلك المحاولات للتحايل على القوة العسكرية الأمريكية أو تقويضها مع استغلال نقاط ضعفها، وذلك باستخدام أساليب تختلف بشكل كبير عن طريقة العمليات المتوقعة" (Sudhir, 2008, pp 58-68).

وقد عرف وزير الدفاع الأمريكي السابق ويليام كوهن William Cohen الحروب اللاتماثلية عندما شرح أن خصوم المستقبل سيحاولون على الأرجح: "التحايل على نقاط القوة الأمريكية أو تقويضها مع استغلال نقاط ضعفها باستخدام أساليب تختلف بشكل كبير عن طريقة العمليات المعتادة". ويصفها الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون Bill Clinton في إستراتيجية الأمن القومي للقرن الجديد بأنها: "مقاربات غير تقليدية تتجنب أو تقوض قوتنا مع استغلال نقاط الضعف لدينا"

ويضيف "بسبب هيمنتنا العسكرية التقليدية من المرجح أن يستخدم خصومنا وسائل غير تماثلية كأسلحة الدمار الشامل، أو عمليات المعلومات أو الارهاب".

ويرى المقدم كينيث ماك كينزي Kenneth Mc Kenzie J.R أن الحروب اللاتماثلية توصف كأفضل وجه على أنها: "الاستفادة من القوة التكتيكية أو العملياتية المتدنية ضد نقاط الضعف الأمريكية لتحقيق أثر غير متناسب بهدف تقويض الإرادة الأمريكية من أجل تحقيق الأهداف الإستراتيجية للأطراف غير النظاميين" (Lowther, 2007, pp 53,54).

2. صعود الحروب اللاتماثلية:

يعود أول إستخدام لمصطلح الحروب اللاتماثلية إلى جانفي 1975 عندما نشر أندرو جونيور ماك Andrew Jr Mack مقالة بعنوان " لماذا تخسر الدول الكبرى الحروب الصغيرة؟ "Why big nations lose small wars?"، حيث أشار إلى اللاتماثل على أنه تباين كبير في القوة بين أطراف النزاع، فبالنسبة له القوة تتجسد في القوة المادية كالجيش الكبير، أسلحة متطورة، إقتصاد متقدم..

وقد تم تجاهل تحليل ماك Mack هذا حتى تفكك الاتحاد السوفياتي وما تبعه من نهاية الحرب الباردة، ثم عاد الإهتمام مجددا بمفهوم اللاتماثل في أوساط الأكاديميين الأمريكيين بعد سلسلة الهجمات على الولايات المتحدة (الهجوم على المدمرة البحرية الأمريكية 'Uss Cole' في 12 أكتوبر 2000، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2011 على مركز التجارة العالمي في نيويورك والبنتاغون في واشنطن..) (Gurunf, 2011, p3).

- الحروب اللاتماثلية في الدوائر الحكومية الأمريكية:

كان أول ذكر لمصطلح الحروب اللاتماثلية في الدوائر الحكومية الأمريكية في تقرير مراجعة الدفاع الرباعي عام 1997 Quadrennial Defense Review (QDR)، ومنذ ذلك الحين أصبحت التهديدات اللاتماثلية في طليعة الإهتمام فقد خصصت جامعة الدفاع الوطني في عام 1998 في تقييمها الإستراتيجي السنوي فصلا كاملا للتهديدات اللاتماثلية، وظهر هذا المصطلح بشكل واسع في تقرير الأمين العام في 1999، وكذلك في " إستراتيجية الأمن القومي " وفي "مراجعة الاستراتيجية المشتركة" لعام 1999 وهي دراسة تحليلية تعد سنويا للرئيس ركزت على التهديد اللاتماثل (Mc Kenzie Jr, 2000, p 2).

وتعتبر "المراجعة الاستراتيجية المشتركة" لعام 1999 أهم دراسة قدمت لفهم الحروب اللاتماثلية والمقاربات اللاتماثلية للحرب، بحيث قدمت كلا من الإطار المفاهيمي للتهديدات اللاتماثلية وعددا من التوصيات لمواجهتها. وحددت " وثيقة الرؤية المشتركة 2020 " التي نشرت في عام 2000 هذه المقاربات اللاتماثلية واعتبرت أن الصواريخ الباليستية طويلة المدى ستشكل

أكبر خطر محتمل يواجه الولايات المتحدة في المستقبل القريب"، كما إعتبرت أن القوى الإقليمية تعمل على تطوير قدراتها لتهديد الإستقرار في المناطق الحرجة لمصالح الولايات المتحدة، فالخصوم من الدول والفواعل غير الدولية الأخرى يحاولون تعويض التفوق العسكري الأمريكي بتطوير القدرات اللاتماثلية.

وقد إقتبست هذه الوثيقة أيضا مفاهيم اللاتماثل من الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة الجنرال ريتشارد مييرز Richard b. Myers والذي قال: "نحن نخوض حربا ليست كباقي الحروب التي خضناها من قبل، إنها تتطلب طرقا جديدة من التفكير حول القوة العسكرية وعمليات جديدة لتحسين الإمكانية الإستراتيجية وتقنيات جديدة لنقل المعركة إلى العدو". ويعتبر " تقرير مراجعة الدفاع الرباعي (QDR) " لعام 2006 الذي نشر في 6 فيفري 2006 أحدث وثيقة رسمية تتبنى المفاهيم اللاتماثلية بحيث ظهر فيها مصطلح اللاتماثل أربعة عشر مرة حيث شمل: العمليات اللاتماثلية، التهديدات اللاتماثلية، التحديات اللاتماثلية، القدرات العسكرية اللاتماثلية، التكتيكات اللاتماثلية، المقاربات اللاتماثلية، والحرب اللاتماثلية.. كما أشار إلى إدراك المفكرين الإستراتيجيين داخل البنتاغون حقيقة أن الحروب الجديدة توضح كيف تغيرت طبيعة الحرب نفسها، وكيف تتطلب من الجيش الأمريكي تبني مقاربات غير تقليدية وغير مباشرة لمواجهةها (Buffaloe, 2006, p 5).

ثالثاً: الإستراتيجيات والتكتيكات اللاتماثلية في الحروب الجديدة:

إنطلاقاً من التعريفات السابقة للحرب اللاتماثلية، يمكننا تلخيص أهم إستراتيجيات وتكتيكات الحروب اللاتماثلية في ما يلي:

1- الإستراتيجيات اللاتماثلية:

تختلف الإستراتيجيات التي تعتمدها الأطراف الضعيفة في قتالها عن تلك التي تتبناها الدول والقوى التقليدية، ويمكن إدراج أهم هذه الإستراتيجيات في ما يلي:

- التركيز على الحسم السياسي

نظراً لأن الأطراف الضعيفة في الحرب لا تستطيع تحقيق النصر العسكري بسبب إفتقارها للقوة العسكرية أمام خصومها من الدول، فهي تركز على قضية الحسم السياسي للحرب، وذلك لأن أهدافها من هذه الحروب ليست مادية أو جيوسياسية وإقتصادية كالدول فهي تسعى غالباً إلى تحقيق أهداف سياسية، ومنه تنتهي هذه الحرب بالنسبة للأطراف الضعيفة بمجرد أن يسلم خصومها الأقوياء بأهدافها السياسية.

ولتحقيق هذه الأهداف، تعتمد الأطراف الضعيفة في الحرب اللاتماثلية على العمل على إستمرار الحرب لأطول فترة ممكنة لأجل إستنزاف الخصم القوي الذي يعجز أمام التكتيكات اللاتماثلية عن استغلال نقاط التفوق العسكري لديه، فهو يواجه عدواً يتكون من خلايا صغيرة تنتشر في أماكن مختلفة غير معروفة، ومن جهة أخرى غياب ميدان للمعارك يلتقي فيه المقاتلون كما في الحروب التقليدية (عواس، 2018).

- إستغلال البيئة المدنية:

تعتمد الأطراف الضعيفة في الحروب اللاتماثلية على التخفي في الأوساط المدنية لتحقيق غاياتها، فهي تسعى إلى الحصول على الدعم الشعبي إما عن طريق أسلوب الترغيب والإقناع (تقديم المساعدات للسكان وتبني قضاياهم ومطالبهم والدفاع عنها..) أو عن طريق الترهيب باستخدام الأساليب الإرهابية وأعمال التخريب والتهديد التي تولد بدورها ردود فعل غير متناسبة من قبل العدو اتجاه السكان وهو ما يحولهم إلى دعم الأطراف غير النظامية والمتمردين (Brouillet , 2010, pp 68-72).

إن تكتيك العنف العرضي للترويج للخوف (الإرهاب) في حد ذاته يكاد يكون دائماً بلا أمل من الناحية الإستراتيجية، ولكن إذا ما تعاملت الدولة مع الإرهاب بشكل سيء فإن ذلك سيؤدي إلى تعبئة الجماهير ضدها وخلق تمرد شعبي يكون مصحوباً بالإرهاب، فرد فعل الحكومة المبالغ فيه على الإرهاب قد يساعد عن غير قصد في تجنيد الجماعات الإرهابية (Gray, 2007, p 247).

يؤدي اعتماد الأطراف الضعيفة في الحروب اللاتماثلية على المناطق الحضرية والمدن مسرحاً لعملياتها إلى محاصرة الجيش النظامي وتعرضه للمضايقة، وهو ما يفقده ميزة المبادرة وقرار المواجهة. إن مركز جاذبية العمليات اللاتماثلية هو المجتمع (الشعب) الذي يتطور فيه المتمردون، ومنه فالنصر لا يكمن في تدمير قوات التمرد أو أجهزتها السياسية بل في القضاء على الدعم الذي تتلقاه من السكان، وهو ما يظهر كمثال في أهمية الشعار الذي تبنته قوات التحالف في أفغانستان والأمريكيين في العراق أواخر 2006 والذي يركز على "كسب عقول وقلوب السكان" الأفغان والعراقيين (El-Laia, 2012, p 4).

- **العمل على نشر الإيديولوجية** : يعتبر العامل الإيديولوجي عاملاً موحداً للعديد من المصالح والأهداف المتباينة بين أعضاء التمرد وعامة السكان لهذا نجد أنه غالباً ما تعتمد أطراف الحروب اللاتماثلية على الأفكار والإيديولوجية في التأثير على سلوك الأفراد داخل المجموعة. فالإيديولوجية هي بمثابة دعوة حاشدة لأفراد الشعب للإنضمام: مام إلى النضال وهو ما يؤثر على الحالة النهائية للتمرد فمثلاً قد يؤدي التمدد الذي يركز على المقاومة ضد المحتلين الخارجيين أو التغيير في المجتمع إلى توحيد العديد من الجماعات المختلفة بناءً على تلك الأهداف الإستراتيجية، وقد تكون هناك جماعات غير إيديولوجية لكنها بحاجة إلى تعبئة السكان لإلغاء سيطرة الحكومة وتحقيق أهدافها في تغيير أو الإطاحة بنظام إجتماعي قائم، فتقوم باستغلال البعد الإيديولوجي كوسيلة فعالة لكسب وحشد الدعم الشعبي للتمرد (FM 3-24 MCWP 3-33.5, 2014, pp 9-4, 10-4).

وقد أصبحت غالبية الجماعات والأطراف اللانظامية في حروب القرن الواحد والعشرون تعتمد على العامل الديني في تحقيق أهدافها وغاياتها السياسية وأهم مثال على ذلك نجد تنظيم القاعدة وتنظيم ما يسمى بداعش الذان إتخذا من الدين وسيلة فعالة لتعبئة وحشد الدعم الشعبي عبر العالم واستقطاب الأنصار لهما لبلوغ الأهداف السياسية لديهما (دليل الميدان 3-24، 2019، ص 50).

2. التكتيكات: إن تنفيذ الإستراتيجيات السابقة يتطلب من الأطراف اللانظامية في الحرب إعتقاد تكتيكات وتقنيات لاتماثلية تتجلى عادة في كل من الإرهاب وحرب العصابات.

ويأتي إختيار تكتيكات وأساليب الإرهاب وحرب العصابات من طرف الفواعل اللانظامية في الحروب بسبب اللاتماثل واللاتكافؤ في القوة بين طرفي الحرب، وعدم قدرة الطرف الضعيف على خوض المعارك المفتوحة والمواجهة المباشرة للعدو، ومنه ما على الطرف الذي يفتقر إلى المقاتلين والمعدات إلا أن يشن حربا خفية ووفقا لشروطه (Gray, 2007, p 247).

- **حرب العصابات:** إن التباين المادي في الحروب اللاتماثلية يؤدي بالمقاتلين غير النظاميين إلى تبني إستراتيجية طويلة المدى للصراع بهدف هزيمة أعدائهم تدريجيا على الصعيدين السياسي والعسكري (Grossman , 2013, p 39).

ومن الناحية التكتيكية، يتم الإعتقاد على قوات غير نظامية تعمل بدوام جزئي وغالبا ما تستخدم تكتيكات كالكمائن وأساليب الكر والفر وتجنب الإحتكاك المباشر لأنها لا تضمن التفوق عند نقطة الإشتباك (Lawther, 2007, p 58).

وتتميز تلك القوات اللانظامية بكونها صغيرة ومتنقلة تعمل أحيانا من دون زي عسكري تقوم بمهاجمة الأجنحة والمناطق الخلفية للتشكيلات العسكرية لعدوها الأكبر حجما والأقل حركة (أي تشن هجوما ثم تتسحب)، كما يستخدم مقاتلو حرب العصابات الأفخاخ والألغام بشكل كبير وكذا الكمائن والإغتيالات (لونغ أوستن، 2014، ص ص 24، 26).

ويتميز مقاتلوا حرب العصابات أيضا بالمرونة والقدرة على التكيف مع جميع الظروف وتحويلها إلى خدمتهم، كما يوظفون بشكل خلاق أية موارد متاحة، ويتصرفون بطريقة مخادعة ومتسترة ويقاتلون بشكل غير قانوني بشكل عام، وغالبا ما يعتمدون على عنصر المفاجأة واستغلال نقاط ضعف خصمهم.

إن قدرة رجال حرب العصابات على التخفي وعدم إرتدائهم للزي العسكري...يسمح لهم بالاندماج مع السكان المدنيين والهروب من أية محاولات للقبض عليهم أو استهدافهم من قبل القوات اللانظامية , (Grossman , 2013, p 29).

- **الإرهاب:** يعرف الإرهاب كتكتيك في الحروب اللاتماثلية بأنه: " الخلق المتعمد للخوف واستغلاله من خلال إستخدام العنف أو التهديد به لتحقيق أهداف سياسية"(Gray, 2007, p 249).

وتعتمد الأطراف غير النظامية الإرهاب لأجل غايات الحرب النفسية (كعنصر مهم في الحروب اللاتماثلية) وذلك لأجل تدمير معنويات العدو والأخذ بزمام المبادرة في بدء الأعمال العدائية، فيظهرون فجأة في مجموعات صغيرة لشن هجمات معزولة من أجل زعزعة استقرار عدوهم النظامي وجعل عملياتها مكلفة من حيث الأرواح البشرية والخسائر المادية، ومن جهة أخرى تعمل على إضعاف دعم الرأي العام للطرف النظامي(Cohen, 2010, pp 11,12).

ويتم إستهداف المدنيين عبر الهجمات الإنتحارية والتفجيرات باستخدام وسائل بدائية الصنع كالعبوات الناسفة والقنابل المرتجلة.

وغالبا ما يقوم المقاتلون غير النظاميين في إطار الأعمال الإرهابية الموجهة للمدنيين والبنى التحتية للدول (خاصة الدول الكبرى) بتبني أساليب التخريب والتدمير بضرب المرافق والمنشآت الحيوية للدول كالمنشآت الطاقوية والمطارات والبنوك.. وذلك عبر الهجمات السبرانية (Cizik, 2018)، فيمكن أن يقوموا بضرب أنظمة علاجية مما يعرقل سير النظام العلاجي بالمستشفيات.. كما يمكنهم عرقلة حركة المواصلات من خلال تعطيل أجهزة الحاسوب التي تتحكم في السيارات أو أجهزة التحكم في حركة المرور، وقد يوجهون

هجومهم إلى أنظمة الإتصالات العامة، أو البنى التحتية للبنوك.. كما يمكن الهجوم على الجيش ومعداته العسكرية أو وسائل الإتصال لديه وقد تتعرض خدمة الطوارئ المرتبطة بخطوط الهواتف العامة للإعتداءات أو لهجوم إرهابي من خلال شبكة الإنترنت مما يسبب أضرارا للمجتمعات الصناعية التي تعتمد عليها بشكل كبير.

إن أية بنية تحتية تعتمد على التكنولوجيا تعتبر عرضة لهجوم ارهابي (باركر، 2014، ص 392).

رابعا: إستجابة الأطراف النظامية لتحديات الحروب اللاتماثلية

إنطلاقا من تأكيد زعيم الثورة الصينية ومؤسس جمهورية الصين الشعبية ماو تسي تونغ Mao Tse Tong الدائم على أنه لا يوجد في حرب العصابات شيئا مثل المعركة الحاسمة، نجد أن الإستجابة والرد على الحروب اللاتماثلية بمختلف أشكالها (مكافحة الارهاب، مكافحة التمرد..) تتطلب إستراتيجية طويلة الأمد يتم تنفيذها عبر الأجهزة الأمنية المختلفة (الشرطة والجيش..). (Gray, 2007, p 258).

1. علاقة عمليات مكافحة التمرد والإرهاب بالبيئة المدنية

يعتمد كسب الحروب اللاتماثلية بشكل أساسي على الحسم السياسي وكسب الشرعية، فهذه الحروب كما ذكرنا سابقا ليست حروبا عسكرية تسعى للسيطرة على موقع جيوسياسي ما، بل هي صراع سياسي ونفسي بالدرجة الأولى، ومنه، لا يمكن للأطراف اللانظامية الفوز في هذا الصراع أو تحقيق غاياتها المرجوة إلا بتوفر مجموعة من العوامل أهمها الرد غير المتناسب للقوى النظامية على الأعمال والتهديدات اللاتماثلية عبر الإستخدام المبالغ فيه والعشوائي للقوة العسكرية خاصة في أوساط المدنيين (البيئة الحاضنة للمقاتلين غير النظاميين)، وهذا يؤدي إلى السخط الشعبي ضد الحكومة وقوات مكافحة التمرد والإرهاب ويسهل من زيادة تعبئة المجندين وحشد الداعمين للمقاتلين غير النظاميين، كما ينتج عنه التحول من حرب عصابات صغيرة الحجم إلى تمرد شعبي كامل، ومنه يكون طرف مكافحة الإرهاب أو التمرد قد نزع الشرعية عن نفسه سياسيا ولن تكون القضية المهيمنة في

الصراع هي كل ما يحفز الأطراف غير النظامية بل أيضا جرائم الحكومة تلك ضد الشعب والمدنيين.

يجب على الحكومة تبني إستراتيجية تتمثل أساسا في محاصرة المقاتلين غير النظاميين لنزع الشرعية عنهم في أعين الجمهور الداعم لهم، وعليها أن تتبع مبدأ الحد الأدنى من القوة والحرص على حماية غير المقاتلين وحماية أراضيهم (Gray , 2007, p 257).

2. القوة العسكرية في مواجهة الإستراتيجيات اللاتماثلية

لم تعد القوة العسكرية في الحروب اللاتماثلية قادرة على تحقيق النصر السريع والحاسم، فالجيوش الحديثة المجهزة والمتطورة ليست قادرة على التصدي لخصوم لديهم معدات بدائية وتنظيمات معقدة تجعل من الصعب استخدام المزيد من المعدات التقليدية (Guillet, 2013, p 9)، فالقوة العسكرية في مواجهتها للإستراتيجيات اللاتماثلية لحركات التمرد تقتصر على الإبقاء على الوضع تحت السيطرة دون إنهاء أسباب الحرب أو إجبار عناصر هذه الحركات على الإستسلام وإلقاء السلاح، ومنه يتطلب مواجهة هذا النوع من الحروب إتباع إستراتيجيتين أساسيتين هما:

- **إستراتيجية مركبة:** تتكون من عناصر سياسية، إقتصادية، عسكرية، وثقافية تجتمع فيها كامل القطاعات الأمنية من جيش وشرطة واستخبارات.. كل يؤدي دوره في تتبع الجماعات اللانظامية والحد من إنتشار أنشطتها العابرة لحدود الدولة القومية وهذا يحتاج إلى التعاون على المستوى الإقليمي والدولي .
- **إستراتيجية طويلة الأمد:** تصمم على المدى الطويل من أجل العمل على إزالة وتجاوز الأحقاد المجتمعية الناجمة عن المواجهة العسكرية مع القوات النظامية داخل الدولة وخارجها.

ومثل هكذا إستراتيجية تتوفر عندما تُستوفى الشروط السياسية والإقتصادية من حكومة تمثيلية وجيش محترف بعيدا عن السياسة، وتنمية إقتصادية مستمرة وشاملة لكامل أقاليم الدولة توفر للقوة العسكرية المناخ المجتمعي المساعد على استمرارها في مكافحة حركات التمرد والجماعات

الإرهابية بشكل متلاحم مع الشعب، فتعزلهم عن الإحتكاك بالشعب ومنه تحبط إرادة حركات التمرد في تحقيق النصر أو السيطرة على إقليم معين (مصباح، 2017، ص ص 359، 361).

خاتمة:

ترتبط الحروب بالتطورات الدولية الحاصلة في كل مرحلة تاريخية على المستويات الإستراتيجية، السياسية، العسكرية، التقنية.. وغيرها، وقد كانت فترة ما بعد الحرب الباردة غنية بالتطورات على جميع هذه المستويات، بحيث ألقت بظلالها على طبيعة الحروب والإستراتيجيات القتالية التي ورغم إبقائها على أساليب ووسائل تقليدية، وأحيانا بدائية، إلا أنها إستفادت من التكنولوجيا الحديثة في وسائل الاتصال والمعلومات ما ساعدها في زيادة كفاءة وفعالية عملياتها العسكرية، ونقل التهديد إلى المستوى الدولي.

لقد منحت الثورة في مجال الاتصال والمعلومات للأطراف اللانظامية القدرة على مجابهة القوى العسكرية الكبرى بأبسط الوسائل وأكثرها فعالية، نظرا لارتباطها بأهداف حساسة كضرب المدنيين وما ينتج عنه من تأجيج الرأي العام الداخلي والعالمي على القوى النظامية، أو ضرب البنى التحتية وما قد يخلفه من شلل في المؤسسات الاقتصادية والاستراتيجية خاصة بالنسبة لمجتمعات ما بعد الحداثة.

لم تعد استراتيجيات وسياسات الدفاع التقليدية القائمة على الاعتماد على القوة العسكرية وتسريع الحسم العسكري ناجعة في مكافحة التكتيكات والأساليب اللاتماثلية للجماعات المتمردة العسكرية، فهذه الجماعات ماضية وتتمدد حتى أمام الحروب العالمية التي تشن ضدها، وهو ما يؤكد عدم فعالية الاستراتيجيات التي تعتمد على الدول خاصة الدول الكبرى في الرد على التهديدات اللاتماثلية ويلج على ضرورة استحداث سياسات دفاعية جديدة تتعامل مع الحروب اللاتماثلية بشكل جذري للقضاء على التهديدات التي طالت الأمن الدولي بكافة مستوياته.

قائمة المراجع:

- باركر، أماندام.(2014). إرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) الإرهاب العالمي الجديد. في ديفيد كانتر(تحرير). (الحكيم، جيهان ترجمة)، الوجوه المتعددة للإرهاب وجهات نظر وقضايا مختلفة، (ص ص 383-400)، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- دليل الميدان 3-24.(2019). دليل الميدان للجيش الأمريكي لمكافحة التمرد. (مولانا، أحمد ترجمة)، مركز تنمية الفكر الاستراتيجي، تم الاسترجاع من موقع: <https://bit.ly/3ynQkEk> تاريخ التصفح 18-03-2021.
- عثمان، أحمد زكي (2015). ما بعد كلاوزفيتز.. الخيال السياسي للحروب الجديدة. مجلة الانساني. ع 59، ص ص 13-17
- العجيلي، صباح نوري، الربيعي. (2015). استراتيجية حروب التحرير الوطنية، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.
- عواس، عايش، الحرب غير المتماثلة.. سلاح الضعفاء في مواجهة الأقوياء، تم الإسترجاع من موقع <https://bit.ly/3z2UIPY> تاريخ التصفح 13-02-2018.
- كيغلي، تشارلز، بلانتون.(2017). السياسة العالمية التوجهات والتحوليات . (بدوي، منير، الخالدي، غالب مترجمون)، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- لونج، أوستن. (2014). الحروب اللامتماثلة في القرن الحادي والعشرين: الإرهاب، والتمرد، وحرب الطائرات من دون طائرات. في مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (محررون)، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، (ص ص 23-52)، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.
- مصباح، عامر. (2017). علم الاستراتيجية وتحليل قضايا الشرق الأوسط، القاهرة : دار الكتاب الحديث.

Brouillet , pascal (2010). Guerres asymétriques et terrorisme.

Espace prépas. N 135, pp 68-72.

Buffaloe, David (2006). Defining asymmetric warfare. Land warfare paper. n 58.

Cizik, Tomas, asymmetric warfare and its impact on the military presence of the united states in Afghanistan, Retrieved from: <https://bit.ly/2UW9e6q> 26-05-2020.

Cohen, Samy. (2010). Israel's Asymmetric Wars, France: éditions du seuil.

El-laia, Abderrazzak (2012). Portrait des conflits asymétriques. Regard critique. Vol 7, N 1.

FM 3-24/MCWP 3-33.5.(2014). Insurgencies and Countering Insurgencies, Washington: D.C, Retrieved from: <https://bit.ly/3ygv4Av> 24-12-2020.

Gray, S. Colin. (2007). War, Peace and International Relations is an introduction to the strategic history, London and New York: Routledge Taylor & Francis Group.

Grossman, Nicholas (2013). Robotics and the future of asymmetric warfare. Ph D. Thesis. University of Maryland.

Guillet, Sarah. (2013). De l'asymétrie Capacitaire à l'asymétrie des buts de guerre- repenser le rapport de force dans les conflits irréguliers, Paris : laboratoire de l'Irsem.

Gurunf, Gopal (2011). Countering Pakistan's asymmetric warfare. Manekshaw paper. N 25.

Jonasson, Stefan. (2008). Understanding the processes of asymmetric warfare the plight of the strong: actors, dynamics and strategy, Sweden: University of Lund.

Lindström, Frida (2012). Asymmetric warfare and challenges for international humanitarian law. Master's Thesis. Uppsala University.

Lowther, b. Adam. (2007). Americans and asymmetric conflict: Lebanon, Somalia and Afghanistan, London and Westport CT: Praeger security international.

MC Kenzie Jr, Kenneth (2000). The revenge of the Melians: asymmetric threats and the next QDR. Mcnair Pape. N 62.

Sudhir, m r (2008). asymmetric war: a conceptual understanding. Claws journal, p p 58-68.

Winter, Yves (2011). The asymmetric war discourse and its moral economies: a critique. International theory. V 3, p p 488-514.